إسهامات المستشرق فيلهاوزن

في دراسات تاريخ العرب والإسلام

د. ليث شاكر محمود (*)

المقدمة

يعد المستشرق الألماني يوليوس فيلهازن (١٨٤٤-١٩١٨) علم من أعلام المؤرخين وعلماء اللاهوت المنتقدين للكتاب المقدس، والمستشرقين الألمان المهتمين بدراسة التاريخ العربي القديم وتاريخ الإسلام، ولعل الميزة التي امتاز بها فيلهاوزن كأسلافه من مدرسة الاستشراق الألمانية في القرن السادس عشر الذين تبنوا أفكار مارتن لوثر وانتقدوا التوراة واهتموا بدراسة اللغة والتراث العربي القديم والإسلامي[1]؛ ولا يختلف فيلهاوزن عن أقرانه من المستشرقين الألمان خاصة والغربيين عامة كونهم كانوا يمثلون رجال دين منتقدين للقرآن والتاريخ العربي الإسلامي لكونهم مرتبطين بالجهاز

(*) قسم التاريخ ـ كلية الآداب / جامعة بغداد.

(١) سيريس، نهاد، الاستشراق أهدافه، موقعه على الإنترنت www. syrisgate.com العقيقي، نجيب، المستشرقون، ط٣، دار المعارف، (مصر، ١٩٦٤)، ج٢، ص١٠٢. كذلك: ناجي، عبدالجبار، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، الموسوعة الصغيرة، دار الحافظ (بغداد، ١٩٨١)، ص٤٢.

الكنسي[٢]؛ إلا انه من المستشرقين الأفذاذ الذين كرسوا أقلامهم لخدمة حيادية وعلمية التاريخ سيما بعد نقده تاريخ إسرائيل والكتاب المقدس كما سنرى وبالرغم من ذلك فأن اعتماده على نظرية الشك جعله يعترف صراحة بنزاهة النص القرآني وكل هذه العوامل أكسبت هذا المستشرق واهتماماته في حقل دراسة تاريخ العرب قبل وبعد الإسلام أهمية كبرى.

البحث غطى السيرة الذاتية لفيلهاوزن في المحور الأول ابتداءً من ولادته ونشأته وثقافته وانتهاءً بوظائفه الأكاديمية وآراءه الاستشراقية ونظرته للتاريخ واهم مؤلفاته في حقل تاريخ اليهود والكتاب المقدس.

اما المحور الثاني من البحث مُكرس عن إسهامات فيلهاوزن في تاريخ العرب قبل الإسلام وفي القرن الأول الهجري؛ تَوزَعت على مؤلفاته في التاريخ العربي القديم، ثم كتبه عن السيرة النبوية، والخلافة الراشدة وأخيرا العصر الأموي.

(٢) العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص١٠٢-١٣٠: كذلك ينظر:

احمد، إبراهيم خليل، المستشرقون، والمبشرون في العالم العربي، (القاهرة، ١٩٦٤). سليم، محمد، لغة الاستشراق، مجلة الفكر المعاصر، (فبراير، ١٩٩١)، العدد الأول، ص ٨٣-٨٦،

Fienschikowski, marco, wellhausen, Juilius Bibliographisches-Biographisch, Band XIII,

أولاً: السيرة الذاتية للمستشرق الألماني يوليوس فيلهاوزن

يوليوس فيلهاوزن

هو مستشرق ومفسر ومؤرخ[٣]؛ وباحث توراتي[٤]؛ من اشهر العلماء الألمان في القرن التاسع عشر وهو يتمتع بعلمية فائقة[٥].

أ. ولادته ونشأته

ولد في (١٧ أيار ١٨٤٤م) في مدينة هاملن من مقاطعة هانوفر في المانيا[٦]؛ كان أبوه القس الثاني للمدينة مشهور بـ أوگست فيلهاوزن (١٨٠٨-١٨٦١) وهو أحد اللوثريين الارثودكس كان يتمتع بثقافة عالية[٧]. وهكذا نفهم ان يوليوس نشأ في بيت مسيحي متدين ذا ثقافة عالية كان لها ابلغ الأثر في تخصصه في حقل الكتاب المقدس عموما وفي حقل الدراسات السامية والشرقية بشكل خاص.

---

(3) THE ENCYCLOPEDIA Americana (New york, 1948) vol, 30, p.180.

(4) Frenschkowski, op. cit, p. 716.

(5) Ibid, p. 717

(6) Americana, Ibid, p. 180.

(7) Frenschkowski, Ibid, p. 717.

ب. دراسته وثقافته

درس علم اللاهوت في جامعة گوتنگن (١٨٦٢م)؛ دَرَسَ أيضا علم اللغات السامية (العبرية والآرامية والعربية) ؛ وكان من المعارضين إلى وصف بسمارك بالوغد[٨]. بمعنى انه كان من مؤيديه سياسيا ويبدو انه أبدى تفوقا دراسيا على أقرانه؛ بدليل تعيينه مُدرساً في الجامعة.

ج. وظائفه الأكاديمية

في عام (١٨٧٠م) اصبح فيلهاوزن مُدرّسا في جامعة گوتنگن[٩]، لعلم اللاهوت[١٠]، وفي عام (١٨٧٢م) عُين مُدرّساً للعهد القديم (التوراة) في جامعة كريفسفالد[١١]. وفي عام (١٨٨٢م) اصبح أستاذا مساعداً للغات السامية في (جامعة Halle salle)[١٢]، لكنه سرعان ما استقال عن منصبه لكونه لم يقبل بالآراء المستوحاة من الكتاب المقدس (التوراة)[١٣]، ولهذه الأسباب ذهب إلى ماربورغ ليعين أستاذا مشاركا للغات الشرقية واصبح هناك خليفة لأستاذه (باول دي لاكارديه)[١٤]. بقي فيلهاوزن أستاذاً في منصبه هذا على مدى عشر سنوات حتى

(8) Ibid, p. 717

(9) Ibid, p. 717

(10) Americana, Ibid, p. 180.

(11) Frenschkowski, Ibid, p. 717.

(12) Ibid, p. 717

(13) Americana, Ibid, p. 180.

(14) Ibid, p. 180, Frenshkowki, Ibid, p. 717

عام (١٨٩٢م). وفي هذا العام أي (١٨٩٢م) عاد إلى گوتنگن ليشغل وظيفة صغرى هناك[١٥]؛ بعد أن تعرض لمضايقات في جامعة ماربورغ بسبب آرائه التحررية الخارجة عن نطاق الكتاب المقدس.

بقي فيلهاوزن شاغلا تلك الوظيفة حتى عام (١٩١٣) حيث أحيل إلى التقاعد[١٦]؛ بسبب مرضه[١٧].

د. مظاهر من حياته ووفاته

تزوج فيلهاوزن من ماريا ليمبرشت في (١٨٧٥/٦/٢٥) وهي البنت الكبرى للكيميائي ليمبرشت، وكانت عازفة بيانو أصبحت فيما بعد طالبة لماكس ريجرز، ولم يحصل كلاهما على أطفال وهذا ما كان يتأسف فيلهاوزن دائما[١٨]. وَرِثَ فيلهاوزن عن أبيه المتوفى بُنية ضعيفة فطوال حياته كان يعاني من مرض المعدة فعانى كثيرا من قلة النوم وكذلك من تصلب الشرايين الذي منعه من الاستمرار في عملية الكتابة في سنوات عمره الأخيرة وأخيراً أصيبَ بالطرش في عامه الستين، وفي سنة (١٩٠٣م) تخلى عن عضويته في جامعة گوتنگن لأنه لم يتمكن من سماع زملائه في الجلسات وكان يستغني كثيراً عن الحوارات الجدلية في اعماله[١٩] العملية. مات فيلهاوزن ١٩١٨م[٢٠].

---

(15) Americana, Ibid, p. 180.

(16) Freschkowski, Ibid, p. 718.

(17) Ibid, p. 718.

(18) Ibid, p. 718.

(19) Ibid, p. 718.

(20) Americana, Ibid, p. 180.

هـ. آراؤه الاستشراقية ونظرته إلى التاريخ

لقد خرج فيلهاوزن من دائرة الكتاب المقدس (الضيقة) في نظرته الواسعة إلى حقل دراسة التاريخ، بالرغم من أنه شرح التغيير الذي أبتغاهُ هو من اللاهوت إلى علم الاستشراق في رسالة بعثها إلى وزير الثقافة البروسي فريدرش التهوف في (١٨٨٢/٤/٥م) حدد أعماله ونشاطاته الفكرية الاستشراقية وفقاً لمتطلبات دائرة القساوسة[٢١].

عاش طيلة حياته كمستشرق معروف إضافة إلى نولدكه وكولدزيهر، ولم تفقد أعمال فيلهاوزن أهميتها على الإطلاق، وعُرفَ أيضا انه مُستشرق عربي وعالم إسلامي ومهتم بكتاب العهد القديم (التوراة) وفيما بعد بالعهد الجديد (الإنجيل)[٢٢]؛ لذلك يعد من أهم المؤرخين المنتقدين للتوراة[٢٣]؛ كما انه قدم انتقادا إلى الكتاب الكهنة (أي القساوسة) رجال الدين المسيحيين[٢٤].

وبشأن نظرية فيلهاوزن عن الوثائق تم تسميتها بنظرية (جراف – فيلهاوزن). حارب فيلهاوزن فيها صورة تاريخ إسرائيل وعليه لم تمنع حواراته الجدلية للفئة المسيحية من الحد من تفوقهِ السريع؛ لذلك لم يكن التاريخ بالنسبة إلى فيلهاوزن على أنهُ تفتح للعقل المطلق؛ ومصدر

---

(21) Freschkowski, Ibid, p. 719.

(22) Encyclopedia international, 1ed, (Arizona, vol.2, p. 573, N.d).

(23) Frenschkowski, Ibid, p. 719.

(24) Ibid, p.p. 719-720.

التاريخ اليهودي-الإسرائيلي ذا مفهوم مزدوج من ناحية يكون يهودي ومن ناحية أخرى ذا (تَغلُب) بروتستانتي (إنجيلي)[٢٥]، كما حاول فيلهاوزن أن يُطبق نظرية هيجل في التاريخ ليُبني نظاماً لتطور الديانة اليهودية[٢٦].

و. مؤلفاته عن اليهود والكتاب المقدس

في سنة (١٨٧١) نشر كتابه النقدي الشهير (صَموئيل) وفي سنة (١٨٧٤م) ناقش رسالته عن (تأريخ إسرائيل) نشرهُ ككِتاب سنة ١٨٧٨م في طبعة أولى وطبعة ثانية سنة (١٨٨٣م) تحت عنوان (تأريخ اليهود) تَم تَرجمتهِ إلى اللُغة الإنكليزية، وتَم تحقيقهُ من قبل بلاك وميِنز وكتب مقدمته روبرتسون سمث[٢٧]؛ والأخير أحد أصدقاء فيلهاوزن[٢٨]، وله كتاب (التاريخ الإسرائيلي واليهودي)[٢٩]. وكتَبَ كِتاباً عن (عَودة اليهود من المهجر البابلي القديم)[٣٠]، وله كتاب عن (الموسيقى العبرية القديمة)[٣١]. وعُرفَ عن فيلهاوزن انه مُهتم بكتاب العهد القديم؛ وفيما بعد بالعهد الجديد وفيما يخص كتاب الكهنة (القساوسة) اعتقد بأنهم ليسوا المصدر الرئيس للعهد القديم (التوراة)[٣٢]. كما أهتَمَ فيلهاوزن بكتابات

---

(25) Ibid, p.p. 719-720. International, vol, 2, p. 573.

(26) Americana, vol, 30, p. 180.

(27) Frenschkows;I, Ibid, p. 717.

(28)Wellhausen, Juilius, israelititsch und judische Geschichte, (Berlin, 1958).

(29) Wellhausen, Juilius, Die Ruckkehr der Juden aus dem babylonischen, Exil, (N.t, N.d), p. 166-188).

(30) Weiihausen, Juilius, The Music of the ancient Hebrews, (New York, 1898).

(31) Frenschkowski, Ibid, p. 719.

(32) Ibid, p. 719.

عن المسيحية وعن العهد الجديد (الإنجيل) وتتضح تعليقاته البروتستانية الأربع (١٩٠٣-١٩٠٨) في كتابهِ (مَدخل في البروتستانت) (الإنجيل) أي الأناجيل الثلاثة الأولى[٣٣]، وله كتاب نقدي عن الكتاب المقدس (العهد الجديد)[٣٤]. وله كتاب عن (الدين المسيحي مع تأثير الدين الإسرائيلي اليهودي)[٣٥]، وله كتاب عن (التغييرات والإضافات في الإنجيل الرابع)[٣٦]، وكتب أيضا كتاب (تحليل لوحي يوحنا فلسفيا وتأريخيا)[٣٧]، وله أيضا (تعليقات إنجيلية)[٣٨]، وكَتَب عن الأناجيل لوقا ويوحنا ومرقص[٣٩]. وهكذا نستنتج اهتمام فيلهاوزن في البدء في حقل الدراسات التوراتية (علم اللاهوت) أولاً، ثم كونهِ مؤرخا كتب عن التاريخ اليهودي، ومن ثم انتقاله إلى دراسة الأناجيل دراسة نقدية جادة حسب اعتقادنا، بسبب طبيعة الانتقادات اللاذعة التي وجهت له في وظائفه. وفيلهاوزن هو أحد مؤسسي نظرية النقد العالي للوثائق أو تُسمى بأسم الرجلين جراف – فيلهاوزن الذي يقول: "إن صَفَحات التوراة تُعطينا نموذجاً للتطور الديني: فهو يسخر من حدوث المعجزات زمن الخروج يوم أعطى الله موسى إليه الألواح"[٤٠].

---

(33) Wellhausen, Jnilius, the Book of Maslums, (Leipzig, London, 1895).

(34) Wellhausen, Jnilius, Die christliche Religion mit Einschlub der israelitish-Judischen Religion, (Berlin, 1905), p.1-40.

(35) Wellhausen, Juilius, Erweiterunger und A nderungen im vierten Evangelium (Berlin, 1907).

(36) Wellhausen, Juilius, Analyse der offenbarung Johannis, (Berlin, 1907).

(37) Wellhausen, Julilus, Evangelienkommentare nachdruck von einleitung in die drei ersten Evangelien, (N.t, 1911).

(38) Frenschkowski, Ibid, p. 720.

(39) Hahn, H.F, The old testement in modern Research, (N.t, 1956) p.p. 107-119.

(40) History in Eassy fur-Hahn, H.F, interpretation of isreals Religious (new york, 1959). p.299.

ثانيا: إسهامه في دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام وتاريخ القرن الأول الهجري

فيلهاوزن مؤرخ ومستشرق مهتم في تاريخ العرب القديم وفي تاريخ صدر الإسلام؛ وقد كون أفكاره وانطباعاته عن العالم الشرقي من خلال قراءته لكتاب تشارلز داوتي (رحلات في الصحراء العربية)[٤١]؛ حيث يقول عنه: "نادراً ما قرأتُ كتاب واستفدتُ منه بقدر هذا الكتاب"[٤٢].

أ. اهتمامه في حقل تأريخ العرب قبل الإسلام

يرجع اهتمام فيلهاوزن بتاريخ العرب القديم منذ تَوليهِ منصب المُدرس في جامعة گوتنگن؛ كونهِ مُدرساً للغات السامية وعلم اللاهوت (١٨٧٢م)[٤٣]، وبسبب انتقاداته آراء الكتاب المقدس (التوراة)؛ يَظهر أنهُ انتقل لدراسة اللغة العربية وتأريخها القديم لكي يبتعد عن دائرة الضغوط والانتقادات الموجهة إليه إزاء أفكاره التحريرية النقدية للكتاب المقدس[٤٤].

كانت نتيجة عمل فيلهاوزن البحث النقدي في الموروث العربي القديم وواقع معيشتهم فكتب كتبه (بقايا الوثنية

(41) Doughtys, Charles, M., The travels in Arabian Desert, (N.t, 1888).

(42) Frenschkowki, Ibid, p. 720.

(43) Ibid, p. 717. Americana, Ibid, p. 180.

(44) Frenschkowki, Ibid, p. 717.

العربية)[٤٥]؛ نشره سنة (١٨٩٧م)[٤٦]؛ وبهذا الصدد يقول الأب لويس شيخو عنه: "صَنَفَ التآليف المُدققة في تاريخ العرب قبل الإسلام وآثارهم الدينية والمدنية"[٤٧].

كما أهتَمَ بدراسة الشعر العربي القديم فنَشَرَ بالعربية مع ترجمة ألمانية الجزء الثاني من أشعار الهُذليين[٤٨] وكان گوسغرتن قد نَشَرَ الجزء الأول منه وله كتاب عن (الشعر العربي القديم)[٤٩]. ومن كتبه عن تواريخ مدن الحجاز قبل الإسلام ما كتبه عن المدينة قبل الإسلام[٥٠]. وعن دراساته عن المجتمع العربي القديم أبرزها: (الزواج لدى العرب)[٥١]. وتَعَرَضَ فيلهاوزن إلى تواريخ مدن الانباط، بطرا، تدمر، وشمال الحجاز وعلاقتها بتواريخ يهوذا وتاريخ إسرائيل من خلال كتابه (تاريخ اليهود ويهوذا)[٥٢].

---

(45) Ibid, p. 718.

- بخصوص الإشكالات التي وقع بها المؤلفون حول اسم كتاب بقايا الوثنية ناجمة عن عدم وجود ترجمة دقيقة عن سيرة فيلها وزن من الألمانية فمثلا: الموسوعة الأمريكية: تذكر اسم ذلك الكتاب (المعتقدات العربية قبل الإسلام) ينظر: Americana, Ibid, p. 180 .
- أما الزركلي فيسمى ذلك الكتاب (دين العرب في الجاهلية). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٦٠.
- العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص ١٠٣.

(46)Americana, Ibid, p. 180.

(٤٧) الزركلي، الأعلام، ج٨، ص٢٦٠.

(٤٨) المصدر نفسه، ج٨، ص٢٦٠. العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص١٠٣.

(49)Frnschkowki, Ibid, p. 7180.

(50)Ibid, p. 718.

(51)Ibid, p. 718.

(52)Americana, Ibid, p. 180.

ولنا ان نـُقدم تعريفا وشواهدا من مؤلفاتِ فيلهاوزن عن تاريخ العرب قبل الإسلام من خلال نظرة على كتاب (بقايا الوثنية عند العرب وهو معنون باللغة الألمانية(Reste Arabischen Heidentums) وقد طـُبع من قبل شركة والتر كرويتر المحدودة في برلين ١٩٦١ جاء الكتاب في ٢٥٠ صفحة باللغة الألمانية تناول فيه: كتاب الأصنام لابن الكلبي[٥٣]، ثم يتناول الآلهة في بلاد العرب: (ود؛ سواع؛ يغوث؛ يعوق؛ نسرو؛ عميانس؛ مناة: اللات؛ العزى؛ ذو الخلصة؛ ذو الشرى؛ الفلس؛ مناف، المحرق؛ رضى؛ سعد؛ شمس؛ سعير؛ الاقيصر)[٥٤]. ثم يتناول طقوس الحج إلى مكة أو سوقها والكعبة وطقوس الحج[٥٥]؛ ثم يتطرق إلى المظاهر الوثنية الأخرى[٥٦]؛ وينهي كتابه بالتطرق إلى الديانتين اليهودية والمسيحية في بلاد العرب[٥٧]. وأخيرا يتناول ظهور الإسلام في مكة[٥٨].

ولنا أن نتطرق إلى بعض نصوص من كتابه ذلك عن الآلهة: فمثلا عند حديثه عن الإله سعد: (انه ورد اسم سعد في أسماء الأشخاص مثل عبد سعد وهو ما يدل على أن الناس كانوا يتبركون به بتسمية أبنائهم بأسمه)[٥٩].

---

(53)Wellhansen, Juilius, Reste Arabischischen Hedentums, (Berline, 1961).

(54) OP. Cit, p.p. 68-101.

(55)

(56) Ibid, p.p.101-207.

(57) Ibid, p. p. 230-234.

(58) Ibid, p.p. 234-242.

(59) Ibid, p. 59.

وبالنسبة للآلهة (الشمس): يقول أنها "أنثى في العربية فهي آلهة: وهي في الكتابات التدمرية مُذكر؛ لذلك فهي عند التدمريين وهذا حدث بمؤثرات خارجية"[٦٠].

وفي معرض حديثه عن الاقيصر وهو اله قبائل قُضاعة في شمال الجزيرة العربية يقول عنه: (وكانت بعض قبائل اليمن من عاداتها إلقاء طقوسها أمامه وحلق شعورها)[٦١].

ويقول عن باجر أنه من أصنام الإزد ومن دناهم من العرب من طي وقد سمي به رجال وعرفوا به عبد باجر[٦٢]. كما يذكر الصنم هلال فيقول هو صنم فزاره[٦٣]؛ ويذكر أيضا ذريح أو ذرح ويقول هو مثل الشارق ومحرق صنم يمثل الشمس ويظهر ان عبادته كانت خارج حدود الجزيرة العربية الجنوبية والصنم ذو اللبا كان في المشقر وهو صنم بني عبد القيس وكان بنو عمرو سدنته[٦٤]، ويتكلم عن الآلهة (الشارق) يقول "المراد بها الشمس عند غروبها"[٦٥]. وذكر صنم بكرين وائل هو عوض[٦٦].

ثم يتكلم فيلهاوزن عن الكعبة فيقول أن (هُبل) هو رمز إلى الآلهة القمر وهو اله الكعبة وهو الله عند الجاهلين[٦٧]؛ والأصنام كانت في الكعبة وفي داخلها (الحجر

(60) Ibid, p. 60

(61) Ibid, p. 62

(62) Ibid, p. p. 64.

(63) Ibid, p.p. 65.

(64) Ibid.

(65) Ibid.

(66)Ibid, p. 66.

(67)Ibid, p. 73.

الأسود) الذي كان مُقدساً وهو الذي أعطى قُدسية للبيت فصار البيت مُقدساً بحد ذاته بحجره هذا الذي هو فيه ولعله (شهاب) – نيزك أو جزء من معبودٍ مقدس قديم[٦٨]. ويتطرق إلى مقامَ إبراهيم الخليل فيقول: "هو المكان الذي كان الجاهليون يذبحون فيه[٦٩]. وكان في الصفا اساف ونائل"[٧٠].

وفي سياق الحديث عن الحج يقول: "كان هناك عدد من بيوت الآلهة (الأرباب) التي كان يحج إليها الجاهليون في شهر ذي الحجة وكان الجاهليون يَودُون القمر عما كانوا يؤدون فيه الحج ووقوعه في شهر (رجب) وهو الشهر الذي كان الجاهليون يذبحون فيه أيضا في العمرة حينما يأتون أصنامهم فيطوفون حولها"[٧١]؛ ويؤكد أن شهر – (ذي الحجة) كانت تحج فيه قبائل العرب الشمالية[٧٢]؛ ويعتمد على رواية (أفيفانيوس) بأن شهر الحج (ذي الحجة) يقع في تشرين الثاني[٧٣].

وعن طقوس الذبح يقول "كان الأعراب يطوفون حول الذبيحة التي كانوا يُقدمونها قربانا للآلهة[٧٤]؛ وكانوا أيضا أي الحجيج يقومون بطقوس أخرى كطرق أبواب البيوت – طرقات خفيفة وإمرار مَلابِسهُم على الأصنام والصخور والمواقع المقدسة للتبرك بها والتمسح بجدران البيت أو التعلق بأطراف الكسوة وتلطيخ

(68)Ibid, p. 74.

(69)Ibid, p. 76.

(70)Ibid, p. 77.

(71)Ibid, p. 84.

(72)Ibid, p. 84.

(73)Ibid, p. 85.

(74)Ibid, p. 100.

الأحجار بدماء الضحية التي تقدم للأوثان وذلك بصب الدماء عليها؛ أو بتلطيخها أو تلويثها كلها أو جزء منها بدم الضحية توكيدا بإراقة دم الضحية"(٧٥).

ويتناول فيلهاوزن في كتابه هذا الوظائف داخل الكعبة كالسدانة والحجابة فيقول: "كانت سدانة الكعبة في بني عبدالدار وكانت حجابة ود في مدينة دومة الجندل إلى بني عامر الاجدار وبني الفرافصة من كلب؛ ولا يشترط ان تكون السدانة في أسرة من القبيلة أو الموضع الذي فيه بيت الصنم أو الأصنام فقد كان كثير من سدَنَة الأصنام من قبيلة لا تنتمي إليها من يقع بيت الصنم في أرضها فقد كانت السدانة لبني أنعُم في جَرَش ... وبني شيبان في نخلة ولال امامة في تُبالة وهكذا"(٧٦).

ويُفَسر فيلهاوزن أسباب عبادة الجن في شبه الجزيرة العربية إلى الظواهر الطبيعية بقوله: "لقد فسَر الجاهليون العواصف والزوابع بِفعل الجن هذه الفكرة فكرة أحداث الجن للرياح أو العواصف في سفر المزامير من أسفار التوراة"(٧٧).

ويتطرق أيضا إلى بعض العادات والتقاليد العربية قبل الإسلام كالاختتان فيقول: "وقد ورد في الموارد اليهودية ما يُفيد اختتان العرب ولعل التوراة ذكرت قصة اختتان إسماعيل أخذت خبرها من تقاليد العرب الشماليين التي كانت مُشاعة في ذلك العهد وكانوا يحرقون راحلة الميت بالنار لكي يستفيد منها الميت يوم الحشر"(٧٨).

---

(75)Ibid, p. 108.

(76)Ibid, p. 109.

(77)Ibid, p. 129. and see:
الكتاب المقدس، كذلك ينظر (التوراة)، سفر المزامير ١٠٤، ١٤١، ١٤٧، ١٤٨.

(78)Ibid, p. 151.

وأخيرا لنا أن نشير إلى طروحاته بخصوص الرهبان المسيحيين واليهود في بلاد العرب فيقول "أن هؤلاء الرُهبان كانت لهم مزارع خاصة يشربون فيها الخمور المعتقة، وكان يرتادها عدد من التجار العرب، والأخيرين تعرفوا عن الديانة النصرانية وشعائرها وقد أشير إلى الرُهبان في الشعر الجاهلي وذكر انهم كانوا يأخذون المصابيح امصاحبة القوافل في ظلمات الليل"(٧٩).

ب. مؤلفات فيلهاوزن عن القرن الأول الهجري

اهتم فيلهاوزن في تاريخ الإسلام، نتيجة لاهتماماته في دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام، فقد وجد الباب مغلقا أمام نقاده ومنافسيه للدخول في هذا الحقل دونما عقبات تذكر، ليس كما حصل له في دراسة تاريخ اليهود ودراساته النقدية عن الكتاب المقدس.

وحاول فيلهاوزن ان يَنقُد القرآن الكريم لدراسته بالأسلوب نفسه الذي سار عليه نولدكه، ومن طريقة فيلهاوزن النقد العالي للوثائق(٨٠)؛ لكنه لم يَبرُز في هذا الحقل كما برز لنقده للتوراة؛ بدليل قوله: "يبرز في القرآن شأن المقدرة الإلهية تارة وشأن العدل الإلهي تارة أخرى، وذلك بحسب ما كان يحس به (محمد)، دون مُراعاة للتوازن بين الطرفين ولا شعر محمد بما في ذلك عن تناقض لأنه لم يكن فيلسوفا واضعاً لمذهب نظري في العقائد"(٨١).

---

(79)Ibid, p. 174.

(80)Ibid, p. 180.

(81)Ibid, p. 232.

أولاً: السيرة النبوية

عَنيَ فيلهاوزن بكتابة السيرة النبوية الشريفة؛ فقد كتب (مقالة المحمدية) في الموسوعة البريطانية[٨٢]، ثُم كتَبَ مقالة أخرى في الموسوعة ذاتها (محمد والخلفاء الأربعة الأوائل)[٨٣]، وله كتاب (محمد في المدينة) نشره سنة (١٨٨٢م)[٨٤]، ودرس فيلهاوزن المدينة في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في كتابه (نظام الطوائف لمحمد في المدينة)[٨٥]. ثم درس مكاتبات ورسل النبي (صلى الله عليه وسلم) في كتاب (كتاباته والمرسلين إليه)[٨٦]، كما كتب دراسة مستفيضة عن وثيقة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة بعنوان (دستور المدينة)[٨٧].

ثانيا: الخلافة الراشدة

له كتب عن تاريخ الإسلام في عصر الرسالة والراشدين بعنوان: (مقدمة للتاريخ القديم للإسلام)[٨٨]، وله مقالة أيضا عن الخلفاء الراشدين الأربعة أشرنا إليه

---

(82)Frnschkowki, Ibid, p. 718.

(٨٣) فيلهاوزن، بوليوس، الدولة العربية وسقوطها، ترجمة عبدالرحمن أبو ريدة، (القاهرة، ص بلا). ص ٢٠.

(84) Encyclopedia of Britanica, 9ed, (London, Nd), vol, xvl, p. 536.

(85) Op. cit, vol, xvl, p.536 vol, xvi, p.p.533-536.

(86)Americana, Ibid, 180.

(87) Wellhansen, Juilus, Muhammads Geindeordnung von Medina, (Berlin, 1893).

(88) Wellhansen, Juilus, Sein schreiben und die Gesandschaften an ihn, (Berlin, 1963).

أعلاه حاول ان يوضح من خلاله علاقة النبي بالخلفاء الراشدين[٨٩]. ودَرسَ أيضاً التطورات السياسية بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ابتداء من اجتماع المسلمين في سقيفة بني ساعدة وانتهاء بالصراع الدائر بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية كرسها في كتابٍ أسماهُ (الأحزاب المعارضة السياسية ـ الدينية في الإسلام القديم[٩٠]. وله كتاب شهير عن (الخوارج والشيعة) طبع سنة ١٩٥١[٩١].

ثالثاً: الخلافة الأموية

اهتمَ فيلهاوزن في تدوين أخبار الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، سيما علاقات الأمويين مع الروم في كتاب له اسماهُ (صراعات العرب مع الروم في عصر الأمويين)[٩٢]. واشتهر فيلهاوزن في كتابه الدولة العربية وتدهورها[٩٣]؛ وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية من قبل أبو ريدة وطبع في القاهرة[٩٤]؛ كما ترجمهُ يوسف العش وطبعهُ في دمشق[٩٥]؛ ولابد من التعرف بهذا الكتاب الشهير

(٨٩) العقيقي، المستشرقون، ج٢، ص١٠٣.

(90) Frenschkowk, Ibid, p. 718.

(91) Wellhansen, Juuilus, Die religious-politischen Oppdsitions parteien im Islam,. (Berlin, 1902). كذلك ينظر ما كتبه: البرت، ديترش، الدراسات العربية في ألمانيا، تطورها التاريخي، (فيزبادن، ١٩٦٧)، ص ١٦-١٧.

(92)Wellhausen, Juilus, Die kampfe der Araber mit den Romaern in der zeit der Umjdem (Gottingen, 1901).

(93)Wellhausen, Juilus, Das arabische Reich und sein sture, (Berlin, 1902).

(٩٤) فيلهاوزن، بوليوس، الدولة العربية، ترجمة عبدالرحمن أبو ريدة، (القاهرة، بلا).

(٩٥) الدولة العربية، ترجمة يوسف العش، (دمشق ـ ١٩٥٦).

الذي (ظل أمداً) طويلاً محجوباً عن قُراء العربية... فقد كان ومازال يُدرس في معاهد الاستشراق بألمانيا وإنكلترا وأمريكا والهند ولا يمر في هذه المعاهد دارسٌ للتاريخ إلا وتناوله وأفادَ من مادته: (فهو الكتاب المعتمد والأصل الذي لابد من معرفته وتدارسه)[٩٦].

يبدأ المؤلف كتابه بالتعريف عن أهم المصادر واهم الرواة المعتمدين في بحثه وأهمية رواياتهم في تاريخ بلاد الشام والعراق الحجاز؛ وينهي مقدمته باعتذار بقوله: "واني أوافق على ما الام به من عدم ثبات الأسلوب على وجه واحد. وان اختلاف نوع الروايات مسؤول عن تغيير أسلوبي هذا وقد دفعت إلى عدد من التتبعات بمن سبقني اكثر مما دفعني إليه المادة نفسها واني اشعر بأني مضطر حيناً إلى ان أعطي نتائج عنها غير ما أعطوه"[٩٧].

قسم كتابه إلى (تسعة) فصول: الفصل الأول اسماه (المقدمة) تحدث فيه عن الدعوة الإسلامية في مكة[٩٨]؛ ثم تكون الأمة في المدينة[٩٩]؛ وتكون دولة الرسول (صلى الله عليه وسلم)[١٠٠]؛ الجهاد والغنائم[١٠١]؛ والخلافة وقريش[١٠٢]، والفتنة في عهد عثمان ثم يتكلم عن خلافة علي (عليه السلام) وصراعه مع معاوية[١٠٣].

---

(٩٦) العش، يوسف، مقدمة كتاب الدولة العربية، ص أ.

(٩٧) فيلهاوزن، الدولة العربية، طبعة دمشق، ص.

(٩٨) المصدر نفسه، ص ٩.

(٩٩) نفسه، ص ١٣.

(١٠٠) نفسه، ص ٢٠.

(١٠١) نفسه، ص ٢٦.

(١٠٢) نفسه، ص ٢٦.

(١٠٣) نفسه، ص ص ٣٩-٦٢.

الفصل الثاني تكلم فيه عن (علي والحرب المدنية الأولى) واقعة صفين، الخوارج والصراع بين طرفين على ضم مصر، ثم الصلح بين معاوية والإمام الحسن (عليه السلام)[١٠٤].

وكرس الفصل الثالث عن (السفيانيين والحرب الأهلية الثانية، بما فيه حكم معاوية، ثم عهد يزيد بن معاوية، وانتقال الحكم إلى مروان بن الحكم، والصراع بين المروانيين وعبدالله بن الزبير)[١٠٥].

وعنون الفصل الرابع (المروانيون الأولون) تناول فيه الصراع القبلي، وحكم عبدالملك والوليد، والحجاج في العراق، وعهد سليمان بن عبدالملك[١٠٦].

بينما كان الفصل الخامس بعنوان (عمر بن عبدالعزيز والموالي) تطرق فيه الى عمر بن عبدالعزيز والخراج، ثم قدم فكرة عامة عن عمر بن عبدالعزيز[١٠٧].

وكان الفصل السادس مكرسا عن (آخر بني مروان) تكلم فيه عن عهد يزيد الثاني، العراق في عهد هشام، وحكم الأخير، وعهد الوليد بن يزيد ويزيد الثالث[١٠٨].

وتحدث في الفصل السابع عن (مروان والحرب الأهلية) درس فيه مواضيع شتى منها: إخضاع مروان للشام، وانتصار مروان

---

(١٠٤) نفسه، ص ص ٦٣-٩٣.

(١٠٥) نفسه، ص ص ٩٤-١٦٤.

(١٠٦) نفسه، ص ص ١٦٥-٢١٦.

(١٠٧) نفسه، ص ص ٢١٧-٢٥٠.

(١٠٨) نفسه، ص ص ٢٥١-٢٩٤.

في العراق والمشرق[١٠٩].

ودَرَسَ (قبائل العرب في خراسان) في الفصل الثامن، وتطرق إلى بداية العداء القبلي في البصرة، وأوضاع العرب بخراسان في عهد الحجاج، ومن ثم أوضاعهم إلى عهد عمر بن عبدالعزيز، ومواقف وأوضاع العرب بالحركات السياسية المناوئة للأمويين[١١٠]. وخصَّصَ الفصل التاسع والأخير عن (سقوط الدولة الأموية) وألقى الضوء على علاقة العرب بالفرس والعباسيين بالشيعة، وأخبار الدولة العباسية في خُراسان، واستيلاء أبي مسلم على خراسان، واستيلاء بني العباس على سائر أملاك بني أمية، ثم وضع مقارنة بين الحكم الأموي والعباسي في نهاية حديثه عن هذا الفصل والكتاب[١١١].

رابعا: قراءاته لبعض المصادر العربية الإسلامية

يبدو ان فيلهاوزن كوَّنَ معارفه تلك المشار إليها أعلاه من تاريخ العرب قبل الإسلام من خلال قراءته المتفحصة لكتاب (الأصنام) لابن الكلبي[١١٢]، وأكد ما جاء في تقرير الجغرافي ياقوت الحموي من نظريات عن النص العربي القديم سيما بخصوص آلهة العرب وتوزيعها في شبه الجزيرة العربية[١١٣].

---

(١٠٩) نفسه، ص ص ٢٩٥-٣١٥.

(١١٠) نفسه، ص ص ٣١٦-٣٨٨.

(١١١) نفسه، ص ص ٣٨٩-٤٤٧.

(112) Frenschkowski, Ibid, p. 718.

(113) Ibid, p. 719.

أما بخصوص معرفته التاريخية الشاملة عن تاريخ الإسلام في عصر الرسالة والراشدين؛ كانت نابعة من قراءته لكتاب (تاريخ الرسل والملوك) لمحمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ/ ٩٢٣م) وهو يشير صراحة في مؤلفاته عن التاريخ الإسلامي باعتماده مرويات ورواة الطبري(١١٤).

الخلاصة

بعد تناول سيرة المستشرق الألماني فيلهاوزن وإسهاماته في دراسة تاريخ العرب قبل وبعد الإسلام توصلنا إلى ما يلي:

١. نشأ فيلهاوزن في بيئة علمية ودينية كانت سبباً في اهتمامه بدراسة وتدريس الكتاب المقدس والاهتمام باللغات السامية منها (العربية)، وقد بَرَعَ في دراسته لعلم اللاهوت والتاريخ اليهودي، لذلك عُينَ في عدة مناصب تدريسية وبحثية في الجامعات الألمانية.

٢. ظاهرة مُلفتة للنظر ألا وهي عدم بقاء فيلهاوزن في وظيفة معينة بجامعة معينة: وهو نابع حسب ما اتضح لنا بسبب آراؤه النقدية التحررية للكتاب المقدس (التوراة)؛ الأمر الذي خلق له العديد من الحانقين والحاقدين عليه، سيما وانه أراد ان يطبق نظرية النقد العالي للوثائق على التوراة ومعرفته ونقده لأسفار التوراة والإنجيل، نتج عنه في النهاية إقصائه وإبعاده عن تدريس علم اللاهوت والكتاب المقدس في الجامعات الألمانية.

(١١٤) فيلهاوزن، الدولة العربية، طبعة دمشق، ص ص ٩-٢٦.

٣. كان لإقصاء أو ابتعاده عن حقل دراسات الكتاب المقدس (علم اللاهوت) والتاريخ اليهودي ومعرفته باللغة العربية، من خلال دراسته اللغات السامية، عوامل مساعدة في الانصراف لدراسة التاريخ العربي قبل الإسلام، فكانت أولى محاولاته الناجحة (دراسة تاريخ الأديان الوثنية للعرب قبل الإسلام)، ودراساته المعمقة عن المجتمع العربي، واشعار القبائل العربية.

٤. كل ما ذكرناه آنفا تبلور في شخصية فيلهاوزن المؤرخ والمستشرق الذي حاول جاهداً نقد القرآن الكريم، وحاول إخضاعه إلى نظرية للنقد العالي للوثائق؛ ولكنه أقَر في نهاية المطاف بفصاحة وعظمة القرآن الكريم بالمقارنة مع الكتاب المقدس.

٥. وأخيرا اهتمامه بدراسة سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) والدعوة الإسلامية في مكة والمدينة والتطرق إلى حياة الخلفاء الأربعة أثمَرَ في نهاية المطاف في دراسة الحركات السياسية والفكرية في القرن الأول الهجري وأخيرا كتابة رائعته الخالدة "الدولة العربية وسقوطها".